مجلة المجمع العلمي

إشكاليّة تجنيس المقالة في الأدب العربي الحديث

الدكتور فاضل عبود التميمي

جامعة ديالى : العراق

م.م لطيفة عبد الله الحمادي :

كليّة الدراسات الإسلاميّة والعربيّة : دبي : الإمارات

الملخص :

بُني بحثنا : (إشكاليّة تجنيس المقالة في الأدب العربي الحديث) على إجراءات نقديّة توّخت الدخول في تبيان الهدف الذي من أجله كُتب . رائية أنّ (الإشكاليّة) تنبع من الوسط الأدبي الذي تعيش فيه المقالة مجاورة الأنواع الأدبيّة الأخرى ،فهي في كتابات كثير من النقاد مضطربة المصطلح ، متعدّدة الدلالات ، لم تحظ بعناية تنصبّ حول متنها ، ولم تجد اهتماما يتكفّل بالإفصاح عن مكنونها ، إلا في حدود ضيّقة يعرفها المختصون ، ولعلّ هذا الإضطراب هو الذي دفعنا إلى كتابة هذا البحث الذي نأمل أن يجيب عن السؤالات التي تريد فكّ جوهر الإشكاليّة .

استطاع البحث – بما أوتي من خطّة اتّخذت من المنهج النصي ذي الرؤية التحليليّة طريقا مفضيا إلى تحقيق ما يصبو إليه – أن يقف عند مسائل كثيرة تتعلّق بالبنية التنظيميّة للمقالة معتمدا عددا من المصادر والمراجع التي تتداخل وإشكاليّة تجنيس هذا الأدب الذي أدّى أثرا مهمّا في تاريخ الأدب العربي الحديث .

والبحث بإيجاز دقّق في تعريف المقالة ، ونظر في نشأتها ، وحلّل انعكاس تلك النشأة في طبيعة تشكّلها النصي ، ووقف عند نظرية

الأجناس الأدبيّة لكي يستثمر تصوراتها المفضية إلى تحديد (قالب) المقالة الفني ، وهدفه أن يقول كلمته في طبيعة تمظهرها الأجناسي الذي يدور في فلك(النوع) الأدبي النثري ، وليس في محور(الجنس)القائم بذاته ، أو حيّز(الفن) السائب من حافات التحديد المفهومي .

٢- هدف البحث :

يريد هذا البحث أن يدقّق النظر في قضيّة تجنيس المقالة لاسيّما الأدبيّة منها بعد أن لاحظ تضارب الآراء النقديّة في طبيعة تشكّلها النصي ، فهي في متون بعض النقاد(جنس) قائم بذاته ، وفي جهود نقاد معنيين بها (نوع) أدبي ذو مكانة متميّزة ، وفي كتابات آخرين (فن) نثري .

فالبحث حاول بمنهجيّة واضحة أن يستنطق التوصيفات السابقة ، وأن يقول كلمته التي لم يطلقها جزافا وهو يقرأ أهمّ المقولات التي قال بها النقاد العرب ، والباحثون ، وهم يتأملون نصّ المقالة ، ونماذج من تشكيلاتها ردحا من الزمن ، مطلقا تساؤلات مسوّغة الحضور ضاربة في ماضي المقالة ومستقبلها .

٣- تعريف المقالة :

جاء في لسان العرب : ((القول : الكلام على الترتيب ... قال يقول قولا وقيلا وقولة ومقالا ومقالة))[١] ، وقد أورد الرازي (بعد٦٦٦هـ)الكلمة بصيغة التأنيث(مقالة) ، وبصيغة التذكير(مقال)[٢] .

---

[١] لسان العرب : مادة : قول : دار صادر لدن تاريخ بيروت.

[٢] مختار الصحاح : دار الكتاب العرب : بيروت لبنان١٩٨١ : ٥٥٦ .

والمقالة على صيغة (مفعلة) ، مصدر ميمي للفعل قال يقول ، وجاء في المعجم الوسيط وهو من المعجمات الحديثة : المقالة بحث قصير في العلم ، أو الأدب ، أو السياسة ، أو الاجتماع [٣].

أمّا اصطلاحا فقد تعددت تعريفات المقالة عند النقاد تبعا لتعدد مناهجهم ، ومشاربهم النقديّة ، لكنّها - التعريفات - أدّت غرضها المفهومي القائم على توضيح التقليد الشكلي للمقالة ، فضلا عن حدّها ، فهي بحسب تعريف أحمد أمين(١٩٥٤م) : إنشاء نثري قصير كامل الدلالة يتناول موضوعا واحدا يكتب بطريقة لا تخضع لنظام معيّن ، ويسمح لشخصيّة الكاتب بالظهور[٤] ، وفي تعريف الدكتورعلي جواد الطاهر(١٩٩٦م) المقالة:((نوع من الأنواع الأدبيّة الإنشائيّة ، يعبر بها الأديب نثرا عن حالة واحدة من حالات مشاعره ، أو عن طور من أطوار حالة واحدة في صفحات قليلة محدودة ...))[٥] ، وقد عرّفها الدكتور محمد يوسف نجم (٢٠٠٩م) بقوله : ((قطعة نثريّة محدودة في الطول والموضوع ، تكتب بطريقة عفويّة سريعة خالية من الكلفة والرهق ، وشرطها الأول أن تكون تعبيرا صادقا عن شخصيّة الكاتب))[٦] ، وهي عند الناقد عبد الجبار البصري (٢٠٠٢م) : ((نوع من الإبداع الفني

---

[٣] ينظر : المعجم الوسيط : إبراهيم أنيس وآخرون : ج٢ : الدار الهندسية مصر : ١٩٨٥ : مادة قال : ٧٦٧.

[٤] ينظر : النقد الأدبي : مكتبة النهضة المصرية : ١٩٨٣ : ٩١.

[٥] مقدمة في النقد الأدبي : المؤسسة العربية للدراسات والنشر: بيروت : ط٢: ١٩٨٣ : ٢٦٢.

[٦] فن المقالة : دار الثقافة : بيروت - ط٤- ١٩٦٦م : ٩٥ .

الأدبي معتدل الطول يتحدث نثرا عن تجربة شخصيّة تتناول ظاهرة واحدة حديثا عفويّا لا تكلفة فيه))[٧].

نخلص ممّا سبق إلى أنّ المقالة نصٌّ أدبيٌّ نثري يعبّر فيه مؤلفه عن مسألة ما برؤية واضحة من غير كلفة مقرونة بعدد محدّد من الصفحات يحاول خلالها أن يحيط بتلك المسألة ليكون له فيها رأي واضح .

٤- نظرات في نشأة المقالة عند العرب :

قيل في نشأة المقالة عند العرب آراء تقترب كثيرا من الثقافة العربيّة ، وتبتعد ، فالمقالة مثل غيرها ((من الفنون الأدبيّة أدركها ، ويدركها التطوّر حسب ما يقتضيه تطوّر الأفكار ، والأساليب ، وحسب الظروف الثقافيّة ، والفكريّة السائدة))[٨] ، لعلّ أهمّ تلك الآراء :

الأوّل : أن للمقالة أصلا يتصل بتراث الغرب :

ممّا لا شكّ فيه أنّ جذور المقالة ضاربة بأطنابها في التاريخ ، شأنها شأن الكثير من فنون الأدب ، إذ إنها وبحسب رأي الدكتور محمد يوسف نجم : ((تقوم على ملاحظة الحياة ، وتدبر ظواهرها ، وتأمل معانيها ، وهذه ظاهرة نفسية رافقت الإنسان منذ ظهوره على وجه الأرض ، إذ هي مركبة في طبيعته))[٩] ، وأن الإنسان ((عبّر عنها منذ فجر التاريخ في نهاويل السحر ورسوم الكهوف ، ووجدت في أحاديثه ، ومسامراته قبل

---

[٧] رواد المقالة الأدبية في الأدب العراقي الحديث : وزارة الإعلام العراقية بغداد : ١٩٧٥ : ١١.

[٨] المقالة النقدية الأدبية في مجلة الرافد الإماراتية : لطيفة عبدالله أحمد الحمادي : ٢٠.

[٩] فن المقالة : الدكتورمحمد يوسف نجم : ٨ .

عهد التدوين متنفسا ومراحا ، وأصبح من عادة الإنسان المتأمل فيما بعد أن يدوّن نتيجة تأملاته ، وخاطراته على صورة ساذجة تتّسم باليسر ، والعفويّة دون أن يشقّ على نفسه في خلق قالب فنيّ محدّد .. وهذا ما نجده في أمثال الأمم وجوامع كلمها[١٠] ، ويضرب بعض الأمثلة منها : أسفار العهد القديم مثل: سفر الأمثال ، وسفر الجامعة ، وسفر يشوع بن سيراخ .

ثم يتتبّع الدكتور نجم بذور المقالة في الآداب القديمة ، ويشير إلى أنّ آثار الإغريق والرومان عُثر فيها على صور متطوّرة لهذه المحاولات البدائيّة ، فقد ظهرت تباشير المقالة في آثار بعض كتّاب الإغريق أمثال : هيرودوتس ، وديموشنيس ، وديونيزيوس ، وفيثاغورس، وأبيقور ، وسواهم ممن عاشوا في المدّة التي امتدت من القرن السابع قبل الميلاد حتى القرن الثالث بعده ، فضلا عن أنّ أساليب بعض الفلاسفة والكتّاب أمثال : سقراط ، وأفلاطون ، وأرسطو طاليس ، وثيوفراسطوس ، وفلوطار خوس كانت دائما ذات أثر مباشر في أساليب بعض أنواع المقالة الحديثة ... إذ يعدّ ثيوفراسطوس تلميذ أرسطو طاليس رائد المقالة الشخصيّة ، أما فلوطار خوس فقد وضع أسس المقالة التأمليّة[١١].

ثمّ يتدرّج في استعراضه لنشأة المقالة ليصل إلى الأدب اللاتيني ليعلمنا أنّه بإمكاننا أن نعثر في آثار بعض أعلامه على بذور لبعض أنواع

---

[١٠] ينظر : نفسه : ٨ .

[١١] ينظر : فن المقالة : ١١ ، ١٢.

المقالة الحديثة ، ويذكر عدّة أمثلة تألّقت في سماء الأدب اللاتيني ، أبرزها – في نظره – : شيشرون ، وسينكا ، و أولوس جيليوس[١٢].

ويكاد يجمع مؤرخو الآداب الغربيّة ، ومعظم من كتب عن المقالة في طورها الحديث ، أنّ المقالة الأدبيّة الحديثة عرفت طريقها إلى الحياة في القرن السادس عشر على يد ميشيل دي مونتين (١٥٣٣م- ١٥٩٥م) ، الذي يمثّل في ثقافته ، وذوقه رجل النهضة الفرنسي أحسن تمثيل ، وقد ألهبته حماسة أبيه ، وشغفه بالثقافة الإيطالية الإنسانية . فاتجه إلى دراسة اللاتينيّة التي استطاع من خلالها أن يقرأ روائع الأدب الإغريقي ، فاستوحى كتاباته من آثار سابقيه ،ومعاصريه من كتاب المواعظ والدروس الخلقيّة ، وصاغ منها عملا يدور حول المشكلات الخلقيّة والمعيشيّة ، بعبارات جميلة ، التقطها من هنا وهناك[١٣].

وقد أطلق مونتين على كتاباته مصطلح (Essay) وتعني تجارب أو محاولات ، وكتابات مونتين الأولى كانت خلاصة مدّة من العزلة فرضها على نفسه ، وتأثر فيها ببعض التيارات الأدبيّة ، وقد تداخلت عدّة عوامل انعكست على كتاباته أهمها: عزلته ، وثقافته ، وتأملاته ، وعنايته بالأدب ، واهتمامه بمشكلات عصره الفكريّة والاجتماعيّة ، فكانت كتاباته فيضا من التأملات العميقة ، والتجارب الشخصيّة الصادقة مدعمة ببعض الحكم ، والأقوال المأثورة[١٤].

---

[١٢] ينظر : نفسه : ١٤.

[١٣] ينظر : نفسه : ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩.

[١٤] ينظر : نفسه : ٢٨ ، ٣٣.

وبهذا تكون المقالة قد نشأت على يد مونتين نشأة ذاتيّة ، تألق فيها العنصر الذاتي ، الذي يتدفق من التجارب والمشاعر الخاصّة للكاتب ، وقد ذاعت شهرة مونتين ومقالاته في أنحاء أوروبا ، وظهرت لكتابه ترجمة إنجليزية في لندن ، تأثر به كبار الأدباء أبرزهم : الكاتب الإنجليزي (فرنسيس بيكون ١٥٦١م- ١٦٣٦م) الذي يعد رائد المقالة الموضوعيّة ، وكان بين كتابات (بيكون) ، و(مونتين) فرق واختلاف مرجعه تباين مذهبيهما في تلقي الحياة والصدور عنها ، فمقالات بيكون طبعت بطابع الوعظ المركّز ، يُعنى فيها بالجانب الأخلاقي مثل : مقالته عن(الحسد) ، أو مقالته عن (التظاهر والرياء) ، فكانت مقالاته أقرب إلى الموضوعيّة وبعيدة عن الذاتيّة ، أمّا مونتين فبيتّ تجاربه الخاصة ،ونظرته للحياة بأسلوب نابع من صدق التجربة[١٥] ، ونتيجة لهذا الاختلاف بين مقالات(مونتين) ، و(بيكون) ؛ قسّم رجال الأدب والنقد المقالة على نوعين : ذاتية ، وموضوعيّة .

وتطوّرت المقالة الأوروبيّة من الناحية الفنيّة والموضوعيّة على مرّ العصور نتيجة اعتناء الكتّاب بها ، ففي القرن الثامن عشر بدت المقالة نوعا أدبيّا قائما بذاته ويعزى الفضل في هذا التطوّر الذي لحق بالمقالة إلى جهود كاتبين برزا في هذه المدّة ، وهما ريتشارد ستيل ، وصديقه جوزيف أديسون[١٦] ، كما أعان تطوّر الصحافة في هذه المدّة على تطوّر المقالة ، واتجهت المجلّات اتجاها إصلاحيّا تهذيبيّا ، فكانت الرغبة في

---

[١٥] ينظر : فن المقالة : ٣٥ . ٣٨.

[١٦] ينظر : نفسه : ٤٧ ، ٤٨.

الإصلاح هي الغاية الأساسيّة لهذا الفن الجديد ، وثمّة من يرى أنّ انتشار المقاهي التي يجتمع فيها الناس ، ويتحاورون في جميع شؤون الحياة ، هي من الأمور التي ساعدت في تطور المقالة في هذه المرحلة[١٧].

وقد حفل القرن التاسع عشر في أوروبا بنخبة من الكتّاب الذين تمردوا على قواعد أسلافهم في المقالة ، وأحلّوا مكانها أسسا جديدة ، تختلف في مضمونها ،من أشهر هؤلاء : شارلس لام ، ولي هنت ، وهزلت ، وكونسي ، كما أدى اتساع نطاق العلوم ، والفنون في هذا القرن إلى ميل المقالة نحو التخصّص ، فظهرت المقالة الشخصيّة ، والعلميّة ، والنقدية ، والفلسفيّة ، ومن أشهر كتّاب هذه المرحلة : ماكس بيربوم ، وإدوارد لوكاس ، وبرنارد شو ، و ت. س إليوت...وغيرهم[١٨].

إنّ أصحاب هذا الرأي يريدون أن يقولوا : إنّ المقالة عند العرب أخذت شكلها ، وسماتها الفنيّة من تراث الغرب على فرض مؤداه أنّ الآداب العالميّة تتبادل بينها التأثير ، والتجربة ، وأنّ الأديب لا يمكن أن يعيش منعزلا عن الكون الذي ينتمي إليه ، وهذا ما حدث للأديب العربي مطلع القرن العشرين حين أفاد من شكل المقالة الغربيّة ومحتواها.

الثاني : إنّ للمقالة أصلا في تراث العرب :

يرى كثيرٌ من الدارسين أنّ وجود المقالة في الأدب العربي قديم ،قدم الأدب نفسه ، وقد تنوعت آراؤهم الباحثة في هذا الشأن ، فالناقد عباس محمود العقاد (١٩٦٤م) يرى أنّ أصل المقالة عربيّ إذ قال : ((ولكن

---

[١٧] ينظر : نفسه : ٥١.

[١٨] ينظر : نفسه : ٥٧ ، ٦٣ ، ٦٤.

الفصل كما عرفه العرب هو أقدم رائد للمقالة في الآداب العالمية ؛ لأنه ظهر قبل ظهور مقالات مونتيني إمام هذا الفن غير مدافع بين الأوروبيين..))[١٩].

ويرى الدكتور محمد مندور(١٩٦٥م) أن جذر المقالة العربيّة ينتمي إلى ((ما يمكن أن نسميه صورا قلميّة في أدبنا العربي القديم ، وبخاصّة عند الجاحظ في مثل (رسالة التربيع والتدوير) التي تعتبر صورة قلميّة مسهبة لخصمه الدود ابن عبد الوهاب))[٢٠].

ويوافق الدكتور عمر الدسوقي(١٩٧٦م) على ما سبق بقوله : ((ليست المقالة غريبة عن الأدب العربي القديم ، وإن تغيّرت صيغتها وشروطها ، فعبد الحميد الكاتب حين تكلم عن الشطرنج ، أو الصيد ،أو الكتابة كان يكتب شيئا قريبا من المقال ، والفصول الأدبيّة التي أنشأها الجاحظ في كتبه : البخلاء ، والمحاسن والأضداد ، والحيوان ، والبيان والتبيين مقالات تنقصها شروط المقالة الحديثة))[٢١].

والدكتور عبد اللطيف حمزة (١٩٨٥م) رأى أنّه من الخطأ أن ننظر إلى المقالة على أنها شيء جديد كلّ الجدة في تاريخ الأدب العربي ، في حين

---

[١٩] يسألونك – عباس محمود العقاد – لجنة البيان العربي بالقاهرة ١٩٤٦م- المطبعة العصرية ، بيروت ١٩٨١م : ٦.

[٢٠] الأدب وفنونه : الدكتور محمد مندور : دار نهضة مصر : ١٩٧٤ : ١٩٣.

[٢١] في الأدب الحديث – الدكتور عمر الدسوقي – ج١- ط٢ – دار الفكر العربي ، القاهرة – ١٩٧٣م : ٥١٤.

هي شيء له مقدماته التي مهّدت لظهوره[٢٢] ، وهذا الرأي يفيد بأن للمقالة أصلا عربيّا عريقا .

ويحدّد الدكتور محمد يوسف نجم ظهور المقالة عند العرب في القرن الثاني الهجري ، وقد تمثلت في أحسن صورها في الرسائل ولاسيّما الإخوانيّة والعلميّة ، مؤكدا ذلك بقوله : ((إذا تصفحنا كتب الأدب ، ومصادر التاريخ وجدنا أمثلة كثيرة تدعم هذا الرأي ، فصفة الإمام العادل للحسن البصري مثل جيّد على المقالة الأخلاقيّة ... ورسالة عبد الحميد إلى الكتّاب التي تضع دستورا للكتابة الديوانيّة ولأخلاق الكتاب ، قريبة الشبه بالمقالة النقديّة الحديثة ، من حيث الموضوع والأسلوب))[٢٣].

وذهب الدكتور فائق مصطفى إلى أنّ العالم والأديب البغدادي ابن الجوزي(٥٩٧هـ) كان أسبق من (مونتاني) بقرون حين كتب المقالة الأدبيّة في كتابه (صيد الخاطر) الذي أودع فيه قطعا نثريّة لا تختلف أبدا عن نصوص المقالة ، وهو يرى أنّ تلك النصوص : المقالات كانت موضع عناية من لدن أحمد أمين الذي سمّى أشهر كتبه المقاليّة : (فيض الخاطر)[٢٤].

وقد حاول بعض الدارسين أن يقف من الآراء السابقة موقف الموازن ليعطي لكلّ رأي حقه في هذا المجال ، فالدكتور عز الدين

---

[٢٢] ينظر : أدب المقالة الصحفية في مصر : الدكتور عبد اللطيف حمزة ج١- ط٣- دار الفكر العربي ، القاهرة : ٤.

[٢٣] فن المقالة - الدكتور محمد يوسف نجم : ١٧ ، ١٨.

[٢٤] ينظر : دفاع عن المقالة : كركوك- العراق : ٢٠٠٨ : ٧.

إسماعيل(٢٠٠٧م) يقول : ((وكلمة المقالة ليست غريبة على اللغة العربية ، ولكنها من حيث دلالتها الفنيّة تعد محدثة في أدبنا العربي ، والحق أن تاريخ المقالة عندنا يرتبط بتاريخ الصحافة ،وهو تاريخ لا يرجع بنا إلى الوراء أكثر من قرن ونصف القرن ، وبذلك تكون المقالة قد دخلت في حياتنا الأدبيّة بعد أن أخذت في الآداب الأوروبية وضعها الحديث))[٢٥].

والحق أنّ المؤلفين العرب القدماء قد عرفوا المقالة في دلالة ((لا تدخل فيما نحن فيه لأنها تعني فيه : الرأي ، والمذهب ، والعقيدة ، أو الفصل ،والجزء من الكتاب))[٢٦] ، مستعملين اللفظة للدلالة على نمط من التأليف كما هي عند ابن النديم (٣٨٥هـ) إذ قسّم كتابه (الفهرست) على عشر مقالات تحتوي كلّ مقالة على عدّة فنون من التأليف[٢٧] ، وهذا ما فعله الخوارزمي (٣٨٧هـ) في كتابه (مفاتيح العلوم) الذي جعله في مقالتين : الأولى لعلوم الشريعة ، والأخرى لعلوم اليونان وغيرها[٢٨] ، وكان ابن الأثير (٦٣٧هـ) مثلهما حين قسّم كتابه (المثل السائر في أدب

---

[٢٥] الأدب وفنونه دراسة ونقد : الدكتور عز الدين إسماعيل ط ٨ - دار الفكر العربي ، القاهرة - ١٩٨٣م : ١٦٢.

[٢٦] مقدمة في النقد الأدبي : الدكتور علي جواد الطاهر : المكتبة العالمية بغداد : ط٢ : ١٩٧٣ : ٢٩٠ .

[٢٧] - ينظر : الفهرست بتحقيق : رضا تجدد ، طهران مطبعة دنشكاه :١٩٧١.

[٢٨] تنظر : طبعة الشرق : ١٣٤٢هـ .

الكاتب والشاعر) على مقالتين[٢٩] ، فضلا عن أنّ القلقشندي(٨٢١هـ) قسّم كتابه (صبح الأعشى في صناعة الإنشا) على عشر مقالات[٣٠].

أصحاب هذا الرأي ينطلقون من قراءة تحاول أن تحفر في سياق التراث العربي لتكشف عن قسم من مكنوناته التي لمّا تزل حاضرة في حياتنا المعاصرة ، وهم في حفرهم هذا يستندون إلى نصوص قديمة تؤيد مسعاهم النقدي ، وتؤكّد سلامة تفكيرهم الإجرائي .

الثالث : نفي العلاقة بين الأدب العربي والمقالة :

نفى عددٌ من النقّاد ، والدارسين معرفة العرب بالمقالة ، فأنيس المقدسي(١٩٧٧م) يذهب إلى أنّ أدبنا القديم : ((لم يعرف فن المقالة كما عرفها أدبنا الحديث ، ومهما حاول بعضهم أن يثبت وجودها في أدب القدماء ، فمما لا شك فيه أن كتّاب نهضتنا الحديثة لم يجروا فيها على طريقة أسلافهم القدماء ، وإنّما تابعوا فيها كتّاب الغرب ، وكان مسرحها الأوّل صفحات الجرائد السياسيّة والأدبيّة فهنا نمت ، وترعرعت ، وتطوّرت حتى أصبحت فنا قائما بذاته))[٣١].

ويوافقه الدكتور شوقي ضيف (٢٠٠٥م) حين يقول : ((ولم يكن العرب يعرفون هذا القالب ، إنّما عرفوا قالبا أطول منه ، يأخذ شكل كتاب

---

[٢٩] ينظر: المثل السائر بتحقيق : الدكتورأحمد الحوفي ، و الدكتور بدوي طبانة : القاهرة دار نهضة مصر ١٩٦١.

[٣٠] تنظر : نشرة القاهرة : دار الكتب المصرية.

[٣١] الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة العربية الحديثة - الدكتور أنيس المقدسي - دار العلم للملايين ، بيروت - ط٥- ١٩٩٠م - :٣٦٠.

صغير ، وهم يسمونه (الرسالة) مثل رسائل الجاحظ . ولم ينشئوه من تلقاء أنفسهم ، بل أخذوه عن اليونان والفرس))[٣٢] ، ليؤكد بصريح العبارة أنّ المقالة مستوردة إلى الأدب العربي : ((أما المقالة فقد أخذناها عن الغربيين))[٣٣].

ونجد الدكتور صالح أبو إصبع ، والدكتور محمد عبيد الله ينفيان ارتباط المقالة ببعض الفنون العربيّة القديمة خاصّة الخطبة ، والمقامة وذلك بقولهما : ((ربط كثير من الدارسين أصول المقالة بعدد من الفنون العربيّة القديمة كالخطبة ، والمقامة ، والرسائل ، ولكننا نرى أن ربطها بالخطبة أمر لا يصح ، إذ إن المقالة فن مكتوب له شروطه الخاصة ، كما أنّ الخطبة فن قولي شفهي يشترط خطيبا ، ومستمعين ، وأسلوبا خاصّا يختلف اختلافا بيّنا عن المقالة ، أمّا صلتها بالمقامة فهي تقترب من القصّة ، والفنون السرديّة لكنّها بعيدة عن طبيعة المقال وبنائه))[٣٤].

ممّا لاشكّ فيه أنّ المقالة تنفرد بمزايا خاصّة عن الأنواع النثريّة القديمة . نتيجة تأثر كتّاب المقالة الحديثة بالاتجاهات السائدة في الآداب الغربيّة ، فالمقالة لها امتداد في الأدب الأوروبي ، وكانت خير أداة لتبليغ الخطاب السياسي ، والاجتماعي ، والثقافي ... وعن طريق الصحافة

---

[٣٢] الأدب العربي المعاصر في مصر- الدكتور شوقي ضيف - دار المعارف ، القاهرة ط٨- ١٩٨٣م- : ٢٠٥ .

[٣٣] نفسه : ٢٠٥ .

[٣٤] فن المقالة (أصول نظرية ، تطبيقات ، نماذج) الدكتور صالح أبو إصبع ، والدكتور محمد عبيد الله - ط١ - دار مجدلاوي للنشر والتوزيع ، عمان - ٢٠٠٠م : ١٣ ، ١٤.

تطورت ، وظهرت فيها أساليب ، وأشكال متعددة ، وكون ظهور الصحافة عند الغرب أسبق من العرب ، فإنّ المقالة تطورت لدى الغرب ، ووصلت إلى العرب متكاملة ، لكنّنا إزاء ذلك لا نستطيع التسليم للآراء التي تنفي وجود بذور ، أو إرهاصات للمقالة في الأدب العربي القديم ، لأنّ هذه الآراء تجرّد المقالة من خصائصها التاريخيّة في المراحل الأولى لنشأتها.

وممّا لا شكّ فيه أنّ الحياة الجديدة قدّمت المزيد من الوسائل الحديثة ، لذلك يجب أن لا يقضي الجديد على الماضي ، ويخفي خصائص القديم الذي له ظروفه ، ومقوماته ، وخصائصه .

والبحث إذ لا ينكر تأثير المقالة الغربيّة في بناء المقالة العربيّة الحديثة فإنّه لا ينكر أيضا أنّ للمقالة جذرا في تراث العرب لاسيّما في رسائلهم التي تتضمن الرأي ، والقول ، والاعتقاد ، وأنّ أصحاب الرأي الثاني لهم الحق فيما تأوّلوا ، واستحضروا من أطروحات تسهم في تتبع تاريخ المقالة العربيّة ، وتبيّن مراحل تطورها.

إنّ سلطة الأدب عند العرب قديما تنفتح على فضاء اشتغال مطلق ، فليس غريبا على أمّة كتبت المعلّقات ، ومئات الدواوين الشعريّة ، والمصنّفات النثريّة السرديّة ، والعقليّة ، وكتب التفسير ، وشروح الشعر ، والتأويل أن تقف عاجزة عن كتابة نصّ محدّد التجربة ، والشكل يمدّ وعيا نحو الحياة ، وتكون له رؤية واضحة .

٥- نظريّة الأجناس الأدبيّة وموقع المقالة فيها :

يبدو أن نظرية الأجناس الأدبيّة تتطوّر على مدار القرون لتُحضر أنواعا أدبية ، وتغيّب أخرى استجابة لمنطق صراع الأنواع أنفسها ،

و((إن تاريخيّة جنس أدبي تتجلى في عمليّة خلق البنية ، وتنويعها واتساعها ، والتعديلات التي تضفي عليها ، وقد يتطوّر هذا المسلك إلى حدّ انهاك الجنس ، أو إقصائه من قبل جنس جديد))[٣٥] ، ومنطق الصراع يؤكد أن تشكيل جنس ، أو نوع جديد يمكن كذلك أن ينبع من تحويرات بنيويّة تجعل مجموعة أجناس موجودة من قبل تندرج ضمن مبدأ تنظيم أرقى[٣٦] ، وتختلف النظرة إلى هذه النظريّة لتستأثر بعناية الدارسين الذين يدركون أنّ ((مقام الكتابة أجناسي من حيث كون كلّ كاتب يتصوّر مهمّته حسب ثقافته الأدبيّة الخاصّة))[٣٧] ، بمعنى أنّ فكرة الأجناس اختزال منظّم لشكل الكتابة الأدبيّة في كلّ عصورها ، يفضي إلى تبيّن المزايا الخاصّة باللغة الأدبيّة ، والحدود الفاصلة بين أنواعها .

والجنس الأدبي في واحد من تعريفاته : ((اصطلاح عملي يستخدم في تصنيف أشكال الخطاب ، وهو يتوسط بين الأدب ، والآثار الأدبيّة))[٣٨] ، لغرض الإحالة على خارطة الأنواع ، والأشكال ، والأنماط ، وهي تتقاسم سلطات الفصل بين النصوص آخذة بنظر الاعتبار أنّ الفصل لن يكون ميكانيكيّا يفضي إلى العزلة التامّة المفارقة لمحيطها ، وإنما هو فصل بين مكوّنات لسانيّة تمتد ما بينها أواصر التشاكل

---

[٣٥] نظرية الأجناس الأدبية : مجموعة مؤلفين : ترجمة عبد العزيز شبيل النادي الأدبي : جدة ١٩٩٤ : ٦٣ .

[٣٦] ينظر : نفسه : ٦٨ .

[٣٧] نفسه : ٩٣.

[٣٨] معجم مصطلحات نقد الرواية : لطيف زيتوني : ط١ : مكتبة لبنان : ٢٠٠٢ : ٦٧.

والاختلاف ، وهدف الجنس الأدبي في شكله النهائي ضبط الأثر ، وتفسيره[٣٩] بقصد الإسهام في قراءة الأدب ، وتلقيه .

إذا استأنسنا برأي (برونيتيير) صاحب نظرية (تطور الأنواع الأدبيّة)[٤٠] ، الذي مؤداه أنّ ((الجنس الأدبي كائن حيٌّ يولد ، ويتطوّر وقد يموت ، وقد يبعث حيّا فيما لو تهيّأت له سبل الحياة من جديد ... فلن تنكر أنّها -المقالة- حوت الجينات التي أدّت إلى خلق هذا اللون عبر حقب التاريخ الأدبي حتى أذن له أن يعرف سنة ١٥٨٠م ، على يد الفيلسوف الفرنسي ميشيل دي مونتيني الذي تعدّه المصادر الأدبيّة في الغرب أبا للمقالة الحديثة...))[٤١] ، لكن السؤال المهم -هنا- من أين جاءت جينات المقالة ، وفي أيّ حاضنة تم تلقيحها ، ومع مَنْ ؟ .

إن هذه التساؤلات تفضي إلى تصوّرات هي أقرب إلى الإجابات المقترحة التي تتحلّق حولها استنتاجات تحدّد الكيفيّة التي تمّ بموجبها ولادة المقالة ، ولا بأس والبحث لمّا يزل في مرحلة التساؤلات أن يستعين بتصورات النقد العربي القديم التي يجد أنّ قسما منها يصلح إجابات لبعض التساؤلات المعاصرة ، كان لمسكويه (٤٢١هـ) رأي مهمّ أشار

---

[٣٩] ينظر : معجم مصطلحات نقد الرواية : ٦٧ .

[٤٠] يشير البحث إلى أنّ كثيرا من النقاد القدماء ، والمعاصرين يستعملون(النوع) بدلا من الجنس : ينظر : جذور نظرية الأجناس الأدبية في النقد العربي القديم : الدكتور فاضل عبود التميمي : المجمع العلمي العراقي : بغداد ٢٠١٢ : ٤٠.

[٤١] المقالة في ليبيا نشأتها وتطورها خلال العهد العثماني الثاني (١٨٦٦- ١٩١١) : أحمد عمران بن سليم- دراسة فنية تحليلية نقدية - ط١- منشورات جامعة قار يونس ، بنغازي- ١٩٩٢م- : ٢٦.

فيه إلى أنّ الكلام الأدبي لا يقف عند جنسي الشعر ، والنثر ، وإنما يمضي لتتوالد فيه خاصيّة إبداع أنواع أخرى لم يتحدّث عنها لكنّه أكّد أنّها تقع في النثر ، يقول في هذا الصدد : إنّ الكلام ينقسم على المنظوم ، وغير المنظوم ، وغير المنظوم(المنثور) ينقسم على المسجوع ، وغير المسجوع ، والأخير لا يزال ينقسم كذلك حتى ينتهي إلى آخر أنواعه[٤٢] ، أي أنّ النثر له القدرة الذاتيّة على توليد أنواع أخرى تخرج من بنيته النصيّة لتكون نوعا أدبيّا آخر مختلفا .

يتّضح لنا أنّ((مسكويه يشير إلى عمليّة توالد الأنواع من بعضها بدءا من الشكل الأعلى : الشعر ، أو النثر وصولا إلى أبسطها حيث تنعدم القسمة ، ويرجع عمليّة التوالد هذه إلى تفكّك الخصائص الأسلوبية (الوزن مثلا) باعتبارها مرشدة إلى نوعيّة التمايز بين هذه الأنواع))[٤٣] ، فالتفكّك النصي يحيل على أمثلة جديدة تخرج من فضاء الانفصال النصيّ لتدخل في فضاء النوع الجديد .

ويذهب علماء الأنواع:الأجناس الأدبيّة إلى أن النوع لا يوجد من العدم ، وأنّ مبدعه يبنيه من مواد مستمدّة من أصول مختلفة ، أو يأخذه من غيره ويعمل به تغييرا وتبديلا ، وأن الصراع بين الشكل الموروث للنوع الأدبي ، وأصالة المؤلف المبدع من أروع مشاهد الفكر الإنساني[٤٤] ، ممّا

---

[٤٢] ينظر : الهوامل والشوامل تحقيق : أحمد أمين والسيد أحمد صقر : مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر : القاهرة ١٩٥١ : ٣٠٩.

[٤٣] النشرية العربية : الأنواع والأغراض : أفريقيا الشرق : المغرب : ١٠٥ .

[٤٤] ينظر : الأدب المقارن : فان تيجم : منشورات دار الفكر العربي : ٧٨ -٨٣.

سبق يتبيّن لنا((أنّ الجنس الأدبي الواحد قادر على إيجاد أجناس أدبيّة أخرى خلال التطور الكمّي ، والنوعيّ للأدب نفسه ، وهو يعيش في حاضنة تاريخيّة متحرّكة))[٤٥].

إذا ما نظرنا إلى المقولتين السابقتين ونحن نحاول البحث عن الكيفيّة التي وُلدت فيها المقالة يمكننا القول: إنّ المقالة لم تولد من العدم ، وإنّ مبدعها المفترض جاء بها من أنواع مجاورة لها أصل معلوم ، أو أنه أخذها من غيرها بعد أن أجرى عليها بعض التغييرات ، وهو يعيش حالة من التفريق بين الشكل الجديد ، والشكل المتوارث .

رأى الدكتور محمد يوسف نجم أنّ المقالة في الأدب العربي ظهرت على أحسن صورها في الرسائل الإخوانيّة ، والعلميّة التي تعكس خصائص المقالة عند رائديها في فرنسا وانكلترا[٤٦] ، ورأى الدكتور محمد عوض محمد(١٩٧٢م) أنّ الرسائل التي يتألف منها متن التراث العربي الآن هي أقرب شيء إلى المقالة الأدبيّة كما نعرفها اليوم[٤٧] ، ورأى أنّ رسالة الجاحظ التي نسبها إلى سهل بن هارون((لو أنها ... كتبت في زماننا هذا لكانت لها مكانة أدبيّة ممتازة ، ويتجلى فيها بوضوح فن المقالة الأدبيّة))[٤٨].

---

[٤٥] جذور نظرية الأجناس الأدبية في النقد العربي القديم : ١٩.

[٤٦] ينظر : فن المقالة : ١٧.

[٤٧] ينظر : محاضرات عن فن المقالة الأدبية : الدكتورمحمد عوض محمد : معهد الدراسات العربيّة العالية : القاهرة : مطبعة لجنة التأليف والنشر : ١٩٥٩ : ٣٨ .

[٤٨] نفسه : ٤٨ : ٧٩.

ويقول الدكتور عزالدين إسماعيل : ((ولكن كلمة (مقال) كانت في الحقيقة أقرب إلى ما عرفه الأدب العربي القديم في(الرسالة) ، لا الرسالة الشخصية أو الديوانية ، ولكن الرسالة التي تتناول موضوعا بالبحث ، كرسائل إخوان الصفا مثلا ، وهي بذلك كانت تطول حتى تملأ عشرات من الصفحات))[٤٩].

ويرى الدكتور علي جواد الطاهر أنّ ((رسائل الجاحظ خير ما يمثل القرابة من المقالة إذا أردنا الإجتزاء بالأهم ، على أنّ ابن المقفع أسبق منه وأقدم محاولة ، ومناسب أن ننظر إلى فقره ، وفصوله في كتابي (الأدب) على أنها من أوّليات المقالة))[٥٠] ، وهذا ما يؤكده الدكتور فائق مصطفى في قوله : ((إنّ بين المقالة العلميّة العربيّة والرسائل العلميّة ... شبها واضحا))[٥١].

ممّا سلف يتبيّن للبحث أنّ النواة النصيّة للمقالة العربيّة الحديثة تستند إلى أصول فنّ الرسائل في شكلها التراثي المعروف ، والرسائل النوع الثالث من (أجناس الأدب) عند أبي هلال العسكري(٣٩٥هـ) :((وهي جمع رسالة والمراد فيها أمور يرتبها الكاتب ... وسميت رسائل من حيث إنّ الأديب المنشئ لها ربّما كتب بها إلى غيره مخبرا فيها بصورة الحال مفتتحة بما تفتتح المكاتبات))[٥٢] ، لها أهميّتها الأدبيّة والثقافيّة في تاريخ

---

[٤٩] الأدب وفنونه ... : ١٦٢ .

[٥٠] مقدمة في النقد الأدبي : ٢٩٨ .

[٥١] دفاع عن المقالة الأدبية : ٢٤ .

[٥٢] صبح الأعشى ... : القلقشندي : دار الكتب المصرية القاهرة د.ت : ١٣٨ : ١٤.

الأدب العربي قديمه وحديثه ، وكان أبو هلال العسكري قد لاحظ التداخل النصيّ بين الرسائل ، والخطب فجعل حديثه فيهما مشتركا ، فهما عنده متشاكلتان : أي متوافقتان في كونهما كلاما لا يلحقه وزن ، ولا تقفية لكنّ الفرق بينهما أنّ الخطبة يشافه بها ، والرسالة يكتب بها ، وهي عنده تصير خطبة ، والعكس صحيح لكنّهما لا يجعلان شعرا إلا بمشقّة[٥٣].

فالرسالة عند العسكري لا يلحقها وزن ، وقافية ، وهذا يعني أنّه أخرجها من طريقة بناء الشعر ، وأنها تكتب لتقرأ ويمكن أن يحوّل جنسها إلى خطبة بلا إشكال واضح ؛ لأنها في الحالتين تحافظ على جنسها النثري المعهود ، لكنّ الرسالة لا يمكن أن تكون شعرا إلا بمشقّة بمعنى أنه رأى أنّ تحوّلها إلى جنس الشعر أمر عصيّ [٥٤].

لقد اعتمد العسكري في ملاحظته الأخيرة مبدأ الموازنة من خلال الاشتغال على تحديد مظاهر المشاكلة ، ومظاهر المباينة بين جنسين من أجناس المنثور هما : الخطبة ، والرسائل كما أن تدرجه في الحديث عن هذه المظاهر أفضى إلى تحويل وجهة الموازنة لتصير قائمة بين هذين الجنسين والشعر[٥٥].

---

[٥٣] ينظر: كتاب الصناعتين : الكتابة والشعر : أبو هلال العسكري(٣٩٥هـ) : تحقيق علي محمد البجاوي ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم دار الفكر العربي ط ٢ : ١٩٧١ :١٤٢.

[٥٤] ينظر : جذور نظرية الأجناس الأدبية .. : ٩٧.

[٥٥] ينظر : التفاعل في الأجناس الأدبيّة : بسمة عروس : الانتشار العربي : لبنان ط١:٢٠١٠م : ١٧٢ .

ولعلّ العسكري أراد التدقيق في شكلهما فلاحظ أنهما تشتركان في كونهما نثرا لا يلحقه وزن ، ولا تتبعه قافية ، ولا يمكن أن يتحولا إلى شعر إلا بمشقّة ،ويفترقان في المشافهة والتقييد ، ولكنهما قد يتحولان من جنس إلى آخر ضمن حدودهما المشتركة ، فالرسالة يمكن أن تصير خطبة ، والخطبة تصير رسالة ، فكأنه أراد أن يتحدّث عن المتغيرات النوعيّة التي تلحق الجنس الأدبي الواحد في ظل التعدديّة الجنسيّة التي يعيشها الأدب[٥٦].

وفي العصر الحديث رأى الناقد عباس محمود العقاد أن أدب المقالة في العربيّة نشأ مع أدب الفصول ، ثم امتزج بالقصة ، واقترن بالمقامة ، فالفصل أقدم رائد للمقالة في الآداب العالمية ظهر قبل مقالات مونتاني[٥٧].

وعند الدكتور زكي نجيب محمود(١٩٩٣م) : ((أن المقالة الأدبية قريبة جدا من القصيدة الغنائيّة ؛ لأن كلتيهما تغوص بالقارئ إلى عمق أعماق نفس الكاتب ، أو الشاعر وتتغلغل في ثنايا روحه))[٥٨] ، والحق أنّ قرابة المقالة الأدبية من القصيدة لا تعني أنّها خرجت من جلباب القصيدة ، أو أنّهما نتاج حاضنة أجناسيّة واحدة ، إنّما تعني أنهما يشتركان في خصائص وظيفية واحدة ، أي أن التشابه بينهما يوحي أنّ مكان المقالة الأدبيّة من

---

[٥٦] ينظر : جذور نظرية الأجناس الأدبية .. : ٩٨.

[٥٧] يسألونك : عباس محمود العقاد – ط٢- دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان- ١٩٦٦م : ٥.

[٥٨] جنّة العبيط : دار الشرق : ط٢ : ١٩٨٢ : ١٠.

النثر كمكان القصيد الغنائي من التأليف الشعري[٥٩] ، وهذا ما أكّده الناقد علي جواد الطاهر في قوله : ((وأقرب أنواع الشعر إليها – المقالة – الشعر الوجداني ، والمقالة في حقيقتها شعر وجداني يزجيه صاحبه إلى القراء نثرا كما يقدّم زميله وجدانه قصيدة))[٦٠].

ويرى الدكتور شكري بركات إبراهيم أن تنوّع النثر أدى إلى ظهور(الخطابة)التي بدورها تطوّرت لتكون المقالة ، والمسرحية ، والرواية ، والقصة[٦١] ، من دون أن يقدّم تفسيرا تحليليّا يقارب بين الخطابة ، والأنواع الأدبيّة الأخرى .

وأيّا كان أصل المقالة فإن وجودها الحاضر يذكّر بتفسير(تودوروف) الخاص بولادة الأجناس الأدبيّة الجديدة ، الذي يقول فيها متسائلا : ((من أين تأتي الأجناس ؟ بكل بساطة ، تأتي من أجناس أدبيّة أخرى ، والجنس الجديد هو دائما تحويل لجنس ، أو لعدّة أجناس أدبيّة قديمة))[٦٢].

والبحث إذ يستبعد أن تكون كلّ من الخطبة ، والمقامة من بدايات المقالة ، لأنّ الخطبة أساسها الإثارة ، وإيقاظ الحماسة في نفوس المتلقين ، فضلا عن أنّها شفاهيّة كانت أم مكتوبة تختلف عن المقالة في

---

[٥٩] ينظر : محاضرات عن فن المقالة : ٥.

[٦٠] مقدمة في النقد الأدبي : ٢٦٣.

[٦١] ينظر : تداخل الأنواع الأدبية في المقال النقدي : الاستاذ الدكتورشكري بركات إبراهيم : ضمن تداخل الأنواع الأدبية : مؤتمر النقد ١٢ جامعة اليرموك : م ١:٢٠٠٩ : ٥٣٥.

[٦٢] أصل الأجناس الأدبيّة : تودوروف : ترجمة محمّد برّادة : مجلة الثقافة الأجنبية : ع١ : ١٩٨٢ : بغداد : ٤٦ .

البنية ، والرؤية ، والتشكيل ، والمقامة تختلف عن الخطبة من حيث البنية والمحتوى والهدف ، فإنّه يرى بالإحالة على آراء: الدكتور محمد يوسف نجم ، والدكتور محمد عوض محمد ، والدكتور عزالدين إسماعيل ، والدكتور علي جواد الطاهر الرابطة بين الرسالة ، والمقالة أنّ الرسائل قد تكون أقرب الأنواع الأدبيّة التي يمكن أن تكون أصلا للمقالة ، ولعلّه يجد فيما كان يكتبه العرب القدماء ما يتقاطع في بعض سماته ،وخصائصه مع المقالة ، لكنّه يقترب من شكلها ، ومسوّغات وجودها فكتابات عبد الحميد الكاتب(١٣٢هـ) ، وابن المقفع (١٤٣هـ) ، التي تدخل في باب الرسائل تقترب من المقالة الأدبيّة أو السياسية ، وما أورده الجاحظ في بخلائه ، ورسائله ينتمي إلى المقالة التصويرية فنا ، والاجتماعيّة من جهة الموضوع ، بينما تنتمي كتابات التوحيدي(٤١٤هـ) إلى المقالة التأملية ، أو الفلسفية ، وهذا ما يثبت معرفة العرب بهذا الأدب ، وإن لم يجعلوه قائما بذاته ، فهي في بداياتها والكلام للدكتور الطاهر : ((لم تكن أكثر من بدايات ، ولم ينبثق عنها ما هو أقرب إلى النوع الأدبي ، وكان الزمن في غير صالحها ... فكانت جنينا لم يتهيأ له النمو))[٦٣] ، إلا بعد قرون من تاريخ العرب الحديث ، لتقريب الصورة في أفقها الإتصالي الواضح .

وكان كتّاب المقالات الروّاد على ما رأى الدكتور محمد عوض محمد يشيرون إلى كتاباتهم ويصفونها بأنها رسائل ، ويذكر أنّ المنفلوطي(١٩٢٤م) مقالة شهيرة عنوانها(كيف أكتب رسائلي)[٦٤] ، وذكر

---

[٦٣] مقدمة في النقد الأدبي : ٢٩٠ .

[٦٤] ينظر : محاضرات عن فن المقالة : ٣٤ .

الدكتور علي جواد الطاهر أنّ المنفلوطي كان يسمي مقالاته رسائل ، كما في مقدمة كتابه(النظرات) التي ترد فيها عبارة : (رسائلي) ويريد بها مقالاته ، وكأن النظرة لديه تساوي : (مقالة)[٦٥] ، والقرابة النصيّة : الشكليّة والمضمونيّة بين الرسالة ، والمقالة تتيح للباحث أن يعتقد أنّ أصل المقالة الرسالة في شكلها المعروف ، فكلتاهما تكتبان بلغة بعيدة عن التعقيد لتُقرءا ، وهما لا تتحولان إلى شعر إلا بمشقّة ، لكن الرسالة يمكن أن تتحول إلى مقالة ، والعكس صحيح جدّا ، فكلتاهما تقتربان في الغاية ، وتشتركان في الهدف .

وبالإحالة على رأي (برونيتيير) صاحب نظرية(تطور الأنواع الأدبية) ، فإن من نصّ المقالة نتج شكل جديد من الأدب هو(المقاصّة) التي هي بحسب تطور الأنواع الأدبيّة الحديثة نوع أدبي جديد في أدقّ توصيفاته((يجمع بين صفات المقالة من ناحية ، وصفات القصّة من ناحية أخرى ، وهو حلقة وصل بين النوعين))[٦٦] ، والمقاصة ، لا تبتعد كثيرا عن المقالة القصصيّة التي رأى الدكتور محمد يوسف نجم أنها نصّ مقالي ينفتح على القصص ، والحكايات الحقيقية ، أو الخياليّة لغرض تصوير بعض العادات ، أو لرسم صورة المجتمع[٦٧].

---

[٦٥] ينظر: النظرات : المقدمة : دار الجيل بيروت : ومقدمة في النقد الأدبي : الهامش(٦٤) : ٣٠٥.

[٦٦] رواد المقالة .. : ٣٣.

[٦٧] ينظر : فن المقالة : ٥٥ .

والحق أنّ الأجناس الأدبيّة غير ثابتة الشكل ؛ لأنها في حركة دائبة تتغيّر لاعتبارات فنيّة من عصر إلى آخر ، وقد تفقد شيئا جوهريّا من خصائصها الأجناسيّة [٦٨] ، فهي لا تبقى ثابتة إنّما تتغيّر تبعا لظرف كثيرة ، والكشف النقدي عنها ، وتصنيفها يعدّ عملا مميّزا في تاريخ بنيتها[٦٩] ، فالتغيّر الذي يصيب الأنواع الأدبيّة جزء من سنن الحياة وتأثيرها في الفن والأدب .

إنّ من يتقصّى تاريخ نشوء القصّة والرواية العربيّة سيلاحظ عن قرب تداخل السرد بالمقالة ، ففي الشام كان مؤلف كتاب (الساق على الساق فيما هو الفارياق) أحمد فارس الشدياق(١٨٨٧م) قد جعل مؤلّفه السابق((يجمع في جزئياته بين المقامة ، والمقالة وبخاصّة المقالة القصصيّة))[٧٠] ، وفي مصر كان الشاعر حافظ إبراهيم(١٩٣٢م) في كتابه النثري الرائد(ليالي سطيح) لاسيّما في الليلة الرابعة يتحدّث عن الامتيازات الأجنبيّة ، ليقحم في ليلته مقالة بعنوان(السياسة الضعيفة العنيفة) ناقلا إيّاها عن مقالات الشيخ علي يوسف صاحب جريدة (المؤيد)المصريّة[٧١] ، أمّا في العراق فإنّ

---

[٦٨] ينظر : الأدب المقارن : الدكتور محمد غنيمي هلال : دار الثقافة للطباعة والنشر: ط٥ : ١٣٨.

[٦٩] ينظر : نظرية الأدب : أوستن وارين ورينيه ولك : ترجمة محيي الدين صبح مراجعة الدكتورحسام الخطيب . ٢٩٦ -٢٩٧.

[٧٠] تطور الرواية العربيّة الحديثة في بلاد الشام ١٨٧٠- ١٩٦٧: الدكتور إبراهيم السعافين : وزارة الثقافة والإعلام- العراق : ١٩٨٠: ٣٦ .

[٧١] ينظر : تطور الرواية العربيّة الحديثة ١٨٧٠-١٩٣٨ : الدكتور عبد المحسن طه بدر : دار المعارف بمصر ط ٣ : ١٩٧٧ : ٨٧.

على حق – أنّ المبدع لا يستقصي الطبيعة الأجناسيّة لما يكتب عادّين تلك المهمّة موكلة بيد النقد الذي ما كان معنيّا بهذه المسألة أيضا .

في كتابات بعض المقاليين الرواد ، وعدد من النقاد يجد الباحث مصطلح (الفن) حاضرا لتوصيف الشكل الأدبي للمقالة ، وهذا ما ظهر عند الدكاترة محمد مندور[٧٤] ، ومحمد يوسف نجم[٧٥] ، وزكي نجيب محمود[٧٦] ، وأحمد حسن الزيات (١٩٦٨م)[٧٧] ، ومحمد عوض محمد[٧٨] ، الذين نعتوا المقالة بأنّها (فن) ، والحق أنّ مصطلح (الفن) هنا عام لا يمكن أن يكون أجناسيّا فارقا بين الأنواع الأدبيّة المعروفة ، فهو إطلاق عام يُخص به النتاج الشعري ، والنثري معا ، ولا يمكن أن يكون مختصّا بنقد المقالة .

لكنّ البحث وجد أنّ عددا من الأدباء ينعتون المقالة بـــ(النوع) ، وهم يريدون نوعا من التأليف كما أكّد الدكتور علي جواد الطاهر في قوله : ((ومن المناسب أن نذكر أنّ من الناس من فهم مبكّرا من مصطلح (مقالات) مصطلحا لنوع من تأليف الكتب ، وليس لنوع أدبي ، فسمى (مقالات) ذلك الكتاب الذي يجمع عدة مقالات تعليمية))[٧٩] ، وهو يريد كتب العقاد ، والمازني(١٩٤٩م) ، وسلامة موسى(١٩٥٨) ، ومحمد

---

[٧٤] ينظر: الادب وفنونه : ١٨٧ .

[٧٥] ينظر: فن المقالة : ٩٣و١٣٤.

[٧٦] ينظر: جنة العبيط : ١٤ ، ١٥.

[٧٧] ينظر: وحي الرسالة : أحمد حسن الزيات : مطبعة الرسالة : ج٣- :٢٦٢.

[٧٨] ينظر : محاضرات عن فن المقالة الأدبيّة : العنوان و : ٤٨ .

[٧٩] مقدمة في النقد الأدبي :٢٦٤ .

مندور ، وغيرهم التي هي في تشكيلها الأوّلي مقالات سبق نشرها في الصحف ، وهذا ما بدا واضحا في قول العقاد : ((إنّ المقالة أنواع وليست بنوع واحد ..))[٨٠] ، وهو يريد بالنوع الشكل المختلف للمقالة لا نوعها الجنسي ، وهذا ما كرّره أحمد أمين أيضا[٨١].

ممّا سبق يتبيّن للبحث : ((أن مفهوم المقالة الأدبية لم يتضح على نحو يجعل من يراولها يرى أنها نوع أدبي كالقصيدة ، والخطبة ، والرسالة ، وظن من يكتبها يعنى بالفكرة قبل عنايته بشكلها الأدبي))[٨٢].

وهناك من عدّ المقالة(جنسا) ، وهو ما ظهر في كتابات بعض النقاد لعلّ من أهمهم : الدكتور فائق مصطفى الذي رأى أنّ المقالة جنس أدبيّ قائم بذاته[٨٣] ، ولعلّه في رأيه هذا كان منحازا إلى المقالة ((وهو الأستاذ الذي عني بها تدريسا ، وتوجيها على مدى السنوات التي قضاها أستاذا لمادة الأدب ، والنقد الحديث في جامعات : الموصل ، والسليمانية ، وكوية

---

[٨٠] أدب المقالة – مجلة الرسالة – ع٧٨٧– ١٩٤٨م .

[٨١] ينظر : فيض الخاطر : مكتبة النهضة المصرية : ط٣– ج١– مقالة (كتابة المقالات) : ١٧٨.

[٨٢] علي جواد الطاهر الناقد المقالي : الاستاذ الدكتورسعيد عدنان : بغداد –الطيف للطباعة : ٢٠٠٦ : ٥٧.

[٨٣] ينظر : الأدب العربي الحديث دراسة في شعره ونثره: الدكتور سالم احمد الحمداني والدكتورفائق مصطفى أحمد : وزارة التعليم العالي والبحث العلمي : جامعة الموصل : العراق١٩٨٧ : ٣٠٩ ، والرأي للدكتور فائق بحسب المقدمة : ٩ ، وينظر : دفاع عن المقالة الأدبية : ٦ ، والمقالة جنس كتابي مهمّش : جريدة الصباح العراقيّة : ٢٠١٢/٣/١٨..

ولمّـا يزل حامل لواء التذكير بها ، فكأنه في عمله هذا وارث خطى أستاذه الطاهر الذي عني بها إبداعا ، ودرسا))[٨٤] ، والحق أنّ المقالة لا يمكن أن تكون جنسا أدبيّا قائما بذاته ؛ لأن((نظرية الأجناس الأدبيّة تحيل الأدب بعامّة على جنسين مهمين: الشعر ، ثمّ النثر ، والنثر بوصفه جنسا يحال على أنواع منها : المقالة ، فالمقالة نوع وليس جنسا))[٨٥].

والمقالة في جهد عدد من النقاد(نوع) أدبي ، وهذا ما ظهر واضحا عند النقاد : الدكتور عزالدين إسماعيل [٨٦] . والدكتور علي جواد الطاهر الذي أشار بدقة إلى توصيف شكل المقالة بقوله : ((لقد تأصّلت المقالة نوعا أدبيّا ، وتأنّقت إذ تولاها الإنكليز عموما ، والصحافة الأدبيّة لديهم خصوصا ، حتى إن المعجمات الفرنسيّة تستهل كلامها على المقالة بقولها إنها (نوع أدبي نثري خاص))[٨٧] ، وعبد الجبار داود البصري[٨٨] ، وفاضل ثامر[٨٩].

إنّ(النوع) درجة تنظيم لتفرعات(الجنس)الذي هو أعلى درجة من النوع ، أي أنّ النوع نمط تابع للجنس ، وهذا ما يُستقرئ من واجهة الحياة

---

[٨٤] قراءة في كتاب دفاع عن المقالة : الدكتورفاضل عبود التميمي : جريدة الاتحاد العراقية في ٢٠٠٨/٦/٢.

[٨٥] المقالة النقدية في رسالة جامعيّة : فاضل عبود التميمي : جريدة الزمان الدولية : ع : ٤٢١٤ في٢٠١٢/٥/٣١.

[٨٦] ينظر : الأدب وفنونه دراسة ونقد : ٦٩.

[٨٧] مقدمة في النقد الأدبي : ٢٨٠.

[٨٨] ينظر : رواد المقالة الادبية في الأدب العراقي : ٩.

[٨٩] ينظر : مدارات نقدية : دار الشؤون الثقافيّة العامة – بغداد ١٩٨٧ : ٩٠.

أيضا ، فالمرأة تنتمي إلى الجنس الإنساني ، وكذلك الرجل ، لكن المرأة القصيرة نوع من النساء ، وكذلك الرجل القصير ، فهو بالقياس نوع أيضا [٩٠].

ويبدو أنّ أبا العلاء المعري(٤٤٩هـ) كان موفّقا حين فرّق بدقّة متناهية بين الجنس الذي هو أصل في الأدب ، والنوع الذي هو فرع في لمحة إجرائيّة تحيل على فهم معاصر يفتقده بعض الباحثين اليوم حين قال على لسان(الشاحج) في محاورة منطقيّة : ((إنّ الشعر جنس ، والرجز نوع تحته))[٩١] ، في خطوة نقديّة فرّق فيها بين ما هو نمط أعلى (الجنس) ، الذي يشير إلى فكرة محوريّة هي فكرة التشابه ، أو التماثل أي مبدأ الثبات الذي يفرضه الإطلاق والتعميم[٩٢] ، وفرع أدنى هو(النوع) الذي يدور حول فكرة الإنحراف ، أو الإختلاف ، أو التنوّع ، وهي فكرة توحي بمبدأ التحوّل ، والتغيّر المرتبط بمبدأ التعيين ، والتخصيص[٩٣] ، وتأسيسا على ذلك فإنّ من البداهة أن يكون النثر جنسا ، والمقالة نوعا .

إنّ عدّ المقالة نوعا نثريّا يعني امتلاكها مزايا نصيّة لا يمكن أن تتواجد في أنواع أدبيّة أخرى ، وهي بالضرورة تتبع جنسا أعلى ، وتنقسم على أشكال واضحة ، ويبدو للبحث أنّ خير من تمثّل نظريّة الأجناس

---

[٩٠] ينظر : جذور نظرية الأجناس الأدبية في النقد العربي القديم : ٤١ .

[٩١] رسالة الصاهل والشاحج : تحقيق عائشة عبد الرحمن دار المعارف بمصر : ١٩٧٥ : ١٨١.

[٩٢] ينظر : نظرية الأجناس الأدبية .. : الدكتورعبد العزيز شبيل : ١٤٥ .

[٩٣] ينظر : نظرية الأجناس الأدبية .. : الدكتور عبد العزيز شبيل : ١٤٥ .

الأدبيّة(الدكتورروجرز ألن) الذي رأى أنّ الأدب : صنف ينقسم على جنسين رئيسين : الشعر ، والنثر ، وكل منهما- الأجناس - ينقسم على أنواع ، والأنواع بدورها تنقسم على أشكال[٩٤] ، وهو ما توضحه الترسيمة الآتية :

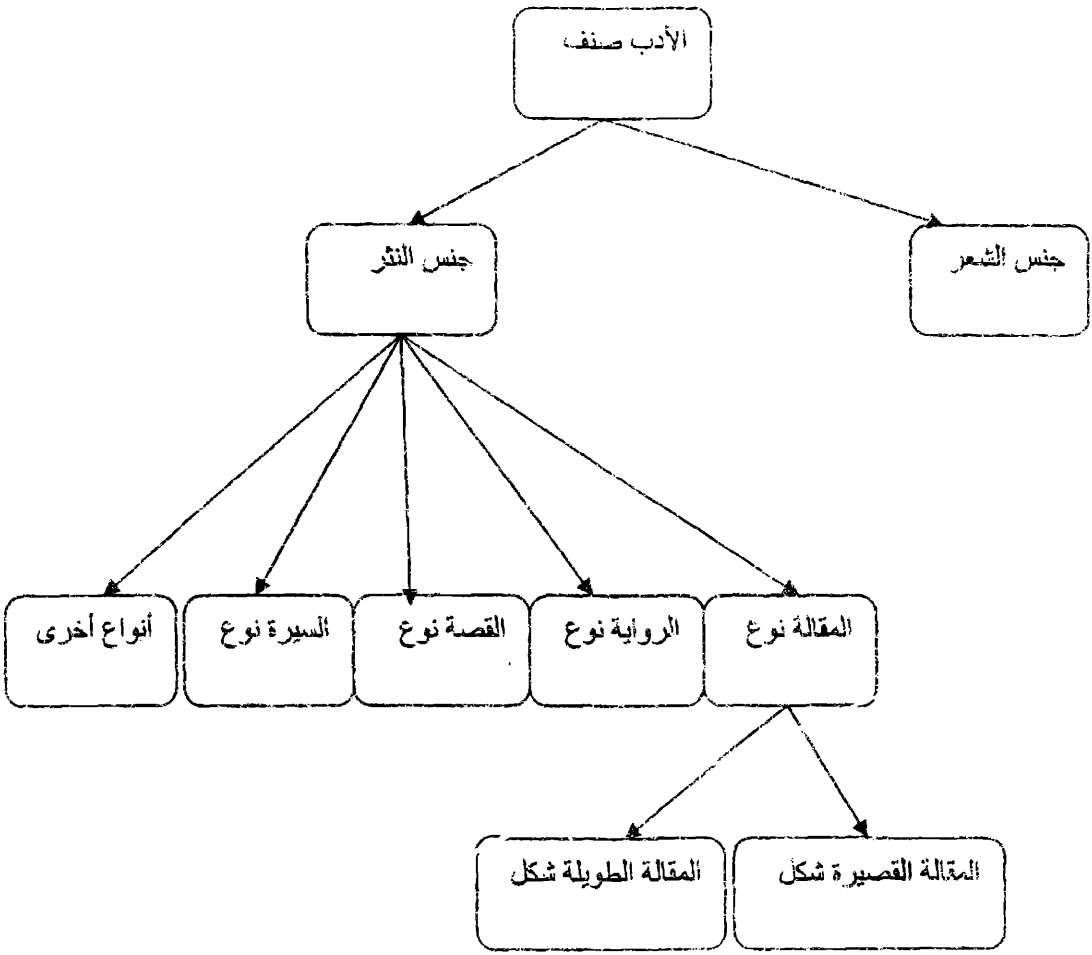

[٩٤] أخذت الفكرة عن الدكتور عبد الله إبراهيم : ينظر : الرواية العربية (ممكنات السرد) أعمال الندوة الرئيسة لمهرجان القرين الثقافي ١١ : ج٢ -٢٠٠٩ : ١٢٢.

التي يمكن تطبيق ولادة (المقالة) على وفق مقاسات دلالتها ، بدءا من الصنف الذي هو(الأدب) الذي بدوره ينقسم على جنسي : الشعر ، والنثر اللذين ينقسمان على أنواع يهمّ البحث هنا الإشارة إلى أن الأنواع النثريّة التي من ضمنها (المقالة) التي تنقسم على أشكال كما في الترسيمة .

٧- انحسار المقالة :

بلغت المقالة العربيّة ذروة تألقها في الأربعينيّات ، والخمسينيّات من القرن العشرين إبداعا ، وتلقّيا ، ويبدو أن ذلك كان بسبب بروز عدد من الكتّاب الذين اتخذوا من المقالة وجها من وجوه الإتصال الجمالي ، والفني الذي لاقى إقبالا واسعا من القرّاء الذين كانوا ينظرون إلى المقالة بوصفها إبداعا معاصرا له ما يسوّغ وجوده ، فهي على حدّ تعبير الدكتور زكي نجيب محمود : ((القالب الأوحد الذي يصب فيه الأديب خواطره ، ومشاعره))[٩٥] ، وهذا يعني أنها بلغت الذروة في السعة ، والإنتشار .

غير أن الحال لم تبق على ما بيّنا في السطور السابقة ، ففي النصف الثاني من القرن العشرين والسنوات اللاحقة انحسر مدّ المقالة مقترنا بغياب الوجوه المبدعة لها ، لتغيب إلى الأبد المجلة الراعية للمقالة أعني مجلة الرسالة التي أصدرها أحمد حسن الزيّات .

يرى الدكتور محمد مندور أنّ فن المقالة قد فقد موضعه بوصفه شكلا أدبيّا مستقلّا حين عزف أتباعه عن نشر كتب مقاليّة بعينها ، وعنده أن اعادة نشر مقالات الصحف في كتاب لا يعني الإحتفاء بالمقالة[٩٦] ، ويرى

---

[٩٥] جنة العبيط : ط٢:١٩٨٢: دار الشروق : بيروت : ٧.

[٩٦] ينظر : الأدب وفنونه : ١٩٩.

الدكتور محمد يوسف نجم أنّ فنّاً أدبيّا جديدا قديما أخذ يزاحم المقالة ، ويحاول أن يجليها عن مكانتها المرموقة في الصحف ، والمجلات هو الأقصوصة[٩٧].

إنّ ما قاله الدكتور محمد مندور لا يرقى إلى مصاف الرأي المعلّل الدقيق ؛ لأن جمع المقالات ونشرها في كتاب مستقل تعزيز لوجود المقالة ، واعتراف ضمني بوجودها الأدبي ، والإحتفاء بها ، أمّا رأي الدكتور نجم فهو قريب من الواقع يعضده التحول البنيوي ، والفكري لمجلة الرسالة المختصّة بالمقالة التي صدر العدد الأول منها في ١٥ يناير ١٩٣٣م ، لتتحول في أول يناير سنة ١٩٤٠م إلى مجلة (الرسالة والرواية) ، التي ظلت تصدر أسبوعيّة حتى آخر عدد ظهر منها بالرقم (١٠٢٥) في ٢٣ فبراير ١٩٥٣م[٩٨].

إنّ انفتاح مجلة(الرسالة)على الفضاء الروائي الذي يعني يومها فضاء القصّة قصيرة كانت ، أم طويلة يعني تخلي المجلّة عن نصف رسالتها للقصة التي بدأت تشارك المقالة وجودها ، لتسهم في انحسار مدّها الأدبي تصديقا لمقولة أنّ الجنس ، أو النوع الأدبي كائن غير مستقر .

ويبدو للبحث أنّ ظاهرة انحسار المقالة أمام القصّة كانت قد حدثت في انكلترا أيضا بين الأعوام ١٩١٢- ١٩٣٦ ليكون ذلك اوّل تاريخ للقصّة

---

[٩٧] ينظر : فن المقالة : ٦٣ .

[٩٨] ينظر : أحمد حسن الزيات ومجلة الرسالة : الدكتور علي محمد الفقي – سلسلة اقرأ – دار المعارف ، القاهرة – ١٩٨١م : ٨٠ ، ٨١.

أهلها لأن تكون أداة الجميع في الفكر ، مبعدة المسرحيّة ، والمقالة ، والقصيدة[٩٩].

أمّا في مصر فقد رأى الدكتور محمد عوض محمد أن شأن المقالة قد تضاءل في جيله بسبب طغيان عنصر السرعة على كل شيء حتى في الأدب ، ونمو روح الملل عند القارئ الحديث ممّا نجم عنه طغيان القصة ، فضلاً عن ابتذال أدب المقالة عند عدد من الكتاب[١٠٠].

وللدكتور(الطاهر) سؤالات تفضي إلى تحديد أهمّ مشكلات المقالة المعاصرة : لماذا قصّر البارعون الذين حققوا المقالة الفنيّة عن أن يبلغوا مداهم الذي بلغوه ؟ ، ولماذا نكص الجيل الذي جاء بعدهم ، واقتدى بهم ؟ ، ولماذا لم يتقدم جيل جديد فيسجل للمقالة وجودا معترفا به ؟ ... يجيب الطاهر : إنّ المقاليّ لم يعد يطرق الموضوعات التي تكتنز الطراوة ، أو يجد الوقت ليمدّ نفسه مع الشكل مقاوما قوة المضمون ، والقارئ كذلك يبتغي مادة علميّة فكريّة من أقصر الطرق ، وأوضحها ، وطلبه هذا ينفي عنصر التفنّن ، ويضيف الطاهر: المقالة العربيّة من حيث هي مقالة بخير ، والمجلات ثريّة بها , وللطاهر أن يطمئن الحال بقوله : لا بد أن نتحسّس الجمال ، ونبحث عن التفنّن ، وللطاهر في إقبال القرّاء على المقالة الشعريّة تلك التي كتبها : نزار قباني ، وغادة السمان ، وأحيانا يوسف الصائغ دليل على حضور المقالة[١٠١].

---

[٩٩] ينظر : الأدب وفنونه دراسة ونقد : الدكتور عز الدين إسماعيل : ٣٤ .

[١٠٠] ينظر : محاضرات عن فن المقالة ... : ٧٤ .

[١٠١] ينظر : مقدمة في النقد الأدبي : ٣٠٠ .

لعلّ سؤالات الطاهر أفضت إلى تحديد سبب انحسار المقالة ، فقد رأى- وهو المعني بالمقالة إبداعا ، ونقدا[١٠٢] - أنّ سبب الانحسار يرتبط بتقصير الروّاد عن أن يبلغوا مداهم ، ونكوص الجيل الأدبي اللاحق لهم ، فضلا عن غياب العناية بالمقالة من الأجيال المعاصرة ، لكنّ الطاهر رأى أنّ المقالة لمّا تزل موجودة غير أن وجودها لم يكن بمستوى حضورها الأوّل .

ويرى الناقد صادق الطريحي أن أسبابا تقف وراء انحسار المقالة الأدبيّة ، السبب الأول يكمن في ضعف الثقافة المقاليّة ! ، فنحن لا نكاد نعرف خصائص المقالة الأدبيّة ، ولا نحفظ منها شيئا ، ولا نكاد ندرسها في الجامعة ، فنحن ندرس الشعر في السنوات الأربع من الكليّة ، لكننا لا ندرس المقالة إلا في الصف الرابع ، إن وصلنا إليها بسبب العطل التي تحفل بها الجامعات العراقيّة ، وقد وضعت المقالة في درس الأدب الحديث في آخر الأنواع الأدبيّة ، أما السبب الآخر فيكمن في أننا لا نريد أن نعترف بشعرية المقالة ، ولا نريد أن نعبّر بوساطتها عن هواجسنا الشعريّة ، ورؤيتنا للحب ، والموت ، والحرية ، نستطيع أن نعترف أن المقالة يمكن أن تصير قصيدة نثريّة ، ولا يريد أحدنا أن يعترف أن قصيدة النثر يمكن أن تكون مقالة ممتازة [١٠٣].

---

[١٠٢] للمزيد عن علي جواد الطاهر مقاليّا ينظر : علي جواد الطاهر الناقد المقاليّ : الأستاذ الدكتورسعيد عدنان : الطيف للطباعة بغداد : ٢٠٠٦ ، وجماليات المقالة عند الدكتورعلي جواد الطاهر : الدكتورفاضل عبود التميمي : دار الشؤون الثقافية العامة : بغداد : ٢٠٠٧.

[١٠٣] ينظر : انحسار المقالة الأدبيّة : جريدة الصباح : العراقيّة ٢١ /١٢/٢٠١٢.

ويرى الدكتور فائق مصطفى أن انحسار المقالة راجع إلى إهمال النقد الأدبي العربي الحديث لها ، وغياب العناية بها جنسا أدبيّا له قوانينه ، ومحدّداته الخاصّة ، فكم من كتاب نقديّ في الأجناس الأدبيّة ، نتصفحه فإذا به يخلو من ذكر المقالة ، وهذا الإهمال انتقل إلى مصطلحها الذي نراه يتعدد عند نقادنا ، وباحثينا مثل المقالة الأدبيّة ، والمقالة الذاتيّة ، والمقالة الوجدانيّة ، والمقالة الشخصيّة ، والمقالة الإنشائيّة ، والمقالة التعبيريّة ، والمقالة اللامنهجيّة ، والمقالة الشعريّة ، والمقالة غير الرسميّة ، والمقال الأدبي الإنشائي ، والمقال الحر[١٠٤].

وللدكتور شجاع العاني رأي آخر يؤكد فيه موت المقالة منذ الخمسينيات ، وتميّز القصّة والرواية ، وعنده أن كلمة (روائي) أكثر رفعة من كلمة مقالي[١٠٥] ، وهو في رأيه هذا يستحضر جوهر الخطاب السردي ، الذي يعرف عن قرب درجة تأثيره في المتلقين المعاصرين بعد أن صار للقصّة ، والرواية أثر واضح في الثقافة المعاصرة لا تكاد تقترب منه المقالة بأشكالها المختلفة .

الآراء السابقة على اختلاف درجة اقترابها من جوهر المشكلة فيها شيء من الإجحاف الذي يلحق بالمقالة ، فالأنواع الأدبية النثريّة : (المسرحية ، والقصّة ، والرواية ، والمقالة ...) تُعنى بالأفكار إذ تأخذ الفكرة في هذه الأنواع من الأدب شكل القضيّة ، أو الموقف ، فيكون الفكر

---

[١٠٤] ينظر : المقالة جنس كتابي مهمّش : جريدة الصباح العراقيّة : ٢٠١٢/٣/١٨.

[١٠٥] ينظر : ماتت المقالة منذ الخمسينيات وبرزت القصة والرواية : مجلة إمضاء : العدد الثاني- بغداد : ٢٠١٢ : ١٠٦.

مرتكزا أساسيّا مهمّا ، على عكس الشعر الذي يعنى بالتجربة الشعوريّة ، والعنصر العاطفي ، لكنّ عناية المقالة بالأفكار ، والمعاني أكبر من عناية الأنواع الأدبيّة كلّها التي تدعو في الأساس إلى التخييل ، والعاطفة ، والمتعة .. فالطبيعة الفكريّة في المقالة تطغى على الجانب الجمالي ، ولعلّ ذلك سبب التراجع في رصيد المقالة ، فالمتلقي يميل في الغالب إلى قراءة ما هو ممتع ، والمسألة في رأينا ليست مسألة سرعة العصر ، أو أن الرواية أكثر رفعة من المقالة ، والدليل أن المقالة مازالت هي أساس كلّ مجلة وصحيفة ، لكنّ الغالب فيها المقالات المنهجيّة : (التي تجمع بين الأسلوب الصحفي ، والأسلوب العلمي) ، فضلا عن أننا- وهذا شيء مهم – لم نعد نسمع ، أو نقرأ لصنّاع المقالة الذوقية أمثال : (الزيات ، والمازني ، والرافعي ، والمنفلوطي ، والطاهر) ، ولهذا نسأل عَلامَ قامت أشهر المجلات الأدبيّة مثل : الرسالة ، والثقافة؟ ، ألم تقم على المقالات التي كانت تحرك الرأي العام ، والنخبة العربيّة: أدبيّا ، وفكريّا ، وسياسيّا ، ونقديّا ، واجتماعيّا ؟ .

ومما يؤكد صحة رأينا السابق أنّ الوعي بالمقالة ، ونقدها أخذ ينمو باطراد في المحافل الجامعيّة العربيّة التي انفتحت على دراسة المقالة ، وسيكتفي البحث بالإشارة السريعة إلى ما تيسر له من الجهود الجامعيّة العربيّة التي درست المقالة .

بدءا ينوه البحث بجهد الدكتور فائق مصطفى الذي أشرف على الرسائل ، والأطاريح الآتية في جامعات الموصل ، والسليمانيّة ، وكوية وهي : المقالة الأدبيّة عند أحمد أمين للباحث محمد صالح رشيد ، والمقالة

عند وليّ الدين يكن للباحث راكان أحمد خلف ، وفن المقالة والخاطرة عند عبد المجيد لطفي للباحث ستار مصطفى فقي بابان ، وفن المقالة الذاتيّة عند أمين الريحاني للباحث صباح كريم مولود ، وفن المقالة في جريدة الإتحاد العراقيّة للباحث زينو عبد الله البرزنجي .

وللبحث أن يضيف أن رسائل ، وأطاريح عن المقالة ، والمقاليين قد كُتبت بإشراف أساتذة معروفين منهم: الدكتور عناد غزوان إسماعيل (٢٠٠٤م) الذي أشرف على رسالة دبلوم عال لفؤاد جميل وهيب : (المقالة الأدبية في العراق بين الحربين١٩١٤-١٩٣٩) ، و: (المقالة في الأدب العراقي الحديث) رسالة ماجستير للباحث السابق أشرف عليها الدكتور رزوق فرج رزوق (٢٠٠٣م) ، و(فن المقالة في النثر العراقي الحديث) رسالة ماجستير للباحث مقداد الشيخلي التي أشرف عليها الدكتور سمير الخليل في جامعة البصرة ، وفن المقالة عند محمود درويش للباحث بسّام جادر التي أشرف عليها الدكتور إبراهيم جنداري في جامعة الموصل ، و(فن المقالة عند علي جواد الطاهر) للباحث نوري محمد ظاهر رسالة أشرف عليها الدكتور محمد صابر عبيد في جامعة تكريت ، و (فن المقالة الأدبية في العراق) أطروحة دكتوراه للباحثة وفاء رفعت نور الدين عبد الله وقد أشرف عليها في جامعة الموصل الدكتور إبراهيم جنداري أيضا ، وملامح فن المقالة في كتاب (ذم الهوى) لابن الجوزي : دراسة موضوعية فنية للباحثة ماجدة عجيل الجبوري في كلية التربية جامعة الموصل ، ورسالة الماجستير في جامعة ديالى التي عنوانها : (الشعريّة في

مقالات حسين مردان) للباحثة نور حسين علي التي أشرف عليها الدكتور فاضل التميمي[١٠٦].

فضلا عن رسائل ، وأطاريح أخرى أنجزت في العراق ، ومصر ، ودبي ، والرباط ، لعلّ من أهمها : التطور اللغوي في الصحافة العراقيّة في المقالة ، والأقصوصة بين ١٨٦٩-١٩٢١ للباحث حسام عبد علي التي أشرف عليها الدكتور حسام سعيد في آداب بغداد ١٩٨٠ ، وفن المقالات في الأندلس : نشأته ، وتطوره وسماته للباحث قصي عدنان الحسيني في الجامعة المستنصرية ١٩٩٥ ، والمقالة في الأدب الجزائري الحديث ١٩٣١-١٩٥٦ التي أنجزها الباحث فدّام سعيدة بإشراف الدكتور عناد غزوان – رحمه الله- في آداب بغداد ١٩٨٥ ، ومقالات غادة السمان الأدبيّة التي أنجزتها الباحثة إشراق سامي عبد النبي في جامعة البصرة ، وأساليب المقالة وتطورها في الأدب العراقي الحديث للباحث منير بكر التكريتي أطروحة دكتوراه في آداب القاهرة ، وفن المقالة في الأدب العربي الحديث أوائل القرن العشرين للباحث محمد كامل أحمد إبراهيم التي أنجزت في آداب القاهرة ١٩٥٣ أيضا ، والمقالة الأدبيّة في مصر وموقفها من قضيّة فلسطين ١٩٤٨- ١٩٦٠ للباحث عطا احمد كفافي التي أشرف عليها الدكتور شوقي ضيف – رحمه الله – في معهد البحوث والدراسات في القاهرة ١٩٦٩.

---

[١٠٦] ينظر : هل المقالة الأدبيّة في انحسار ؟ : الدكتورفاضل عبود التميمي : جريدة الصباح العراقيّة : ٢٥ /٣/ ٢٠١٢.

وقد أنجزت الباحثة لطيفة عبد الله أحمد الحمادي رسالتها للماجستير : المقالة النقديّة الأدبيّة في مجلة الرافد الإماراتية في كليّة الدراسات الإسلاميّة والعربيّة في دبي بإشراف الدكتور محمد عيلان ، وفي الكليّة نفسها أنجزت الباحثة نفسها أطروحة الدكتوراه الموسومة بـ ((المقالة في أدب أحمد حسن الزيات : دراسة في المقومات الفكريّة والبناء الفني)) بإشراف الدكتور محمد عبد الحي ، وفي آداب الرباط : المغرب أنجزت رسالة الماجستير : المقالة الأدبيّة في المغرب ١٩٣٠-١٩٥٦ للباحث بلشهاب أحمد ، وفي آداب دمشق انجزت رسالة : المقالة في سورية ١٩٢٠- ١٩٣٧ للباحثة أمل أمين الصباغ م ١٩٨٠م ، وفي ليبيا جامعة قار يونس انجزت اطروحة دكتوراه عنوانها المقالة في ليبيا نشأتها وتطورها خلال العهد العثماني الثاني (١٨٦٦- ١٩١١) للباحث أحمد عمران بن سليم – دراسة فنية تحليليّة نقديّة [١٠٧].

وممّا هو جدير بالملاحظة أنّ الدكتور محمد عوض محمد رأى أنّ مستقبل المقالة في الشرق العربي بيد القدر ، ولا ينبغي أن نتشاءم ، وأن تطوّر الصحافة كان له أكبر الفضل في تطور المقالة الأدبيّة ، ولكنه في الوقت نفسه رأى أن جيلا جديدا من كتّاب المقالة لم يظهر بعد [١٠٨] ، وهذا يعني أنّ المقالة باقية بقاء الأدب العربي .

---

[١٠٧] ينظر : خزانة الأطاريح الجامعيّة المناقشة في المعاهد والكليات العربية : الدكتورعباس كاظم مراد : دار النوارس : بيروت : ٣٤ ، ٧٧ ، ١٧٩ ، ٢٠٠ ، ٢١٩ .

[١٠٨] ينظر : محاضرات عن فن المقالة .. : ٧٦- ٧٧.

٨- الخاتمـــة :

إنّ المقالة لا يمكن أن تكون فنّا مجرّدا من حدود التميّز ، والتشكّل الخاص ، فهي نوع أدبي تابع لجنس النثر شأنها شأن الرواية ، والسيرة ، والمسرحيّة ، والقصّة ، وغيرها ، وهي ليست جنسا أدبيّا قائما بذاته شأنها شأن الشعر ، والنثر ؛ لأن الجنس بحسب نظرية الأجناس الأدبيّة درجة أعلى من النوع ، أي أنّ النوع تابع للجنس .

١- إنّ المقالة لم توجد من العدم ، وإنّما لها نواة نصيّة تشكّلت في حاضنة الرسائل الديوانية التي تكتب نيابة عن الخليفة ، أو الأمير ، والرسائل الإخوانيّة ، والرسائل الخاصة ، والعلمية ، ورسائل التخيّل : مثل رسالة الغفران ، ورسالة التوابع والزوابع ، والرسائل الفلسفيّة مثل : رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا ، على مرّ قرون من الزمن ،ثم بمرور الزمن استقلّت عن فضاء الرسالة لتكوّن نوعها الأدبيّ الذي أسهم في بلورة أشكال مختلفة من الرؤى ، والانفعالات .

٢- إنّ المقالة لم تمت ، وإنّما انحسر تأثير وجودها بسبب ظهور أنواع أدبيّة منافسة لها مثل : القصّة ، والرواية ، وتغيّر التقاليد الأدبيّة تبعا لتعاقب الزمان ، وظهور أساليب أدبيّة جديدة ، واختلاف بنياتها من عصر إلى آخر ، وأنّها لمّا تزل موجودة في حياة الأدب العربي ونقده .

المصـــادر :

١. أحمد حسن الزيات ومجلة الرسالة : الدكتور علي محمد الفقي – سلسلة اقرأ – دار المعارف ، القاهرة – ١٩٨١م .

٢. الأدب العربي الحديث دراسة في شعره ونثره – الدكتور سالم أحمد الحمداني والدكتور فائق مصطفى أحمد– وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، جامعة الموصل ، العراق– ١٩٨٧م .

٣. الأدب العربي المعاصر في مصر– الدكتور شوقي ضيف– دار المعارف ، القاهرة – ط٨– ١٩٨٣م .

٤. الأدب المقارن– فان تيجم : تعريب سامي مصباح الحساسي : منشورات دار الفكر العربي .

٥. الأدب المقارن– الدكتور محمد غنيمي هلال : دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع : بيروت : ط٥ : ١٩٩٠م .

٦. أدب المقالة – عباس محمود العقاد– مجلة الرسالة– ع٧٨٧– ١٩٤٨م .

٧. أدب المقالة الصحفية في مصر– الدكتور عبد اللطيف حمزة –ج١– ط٣– دار الفكر العربي ، القاهرة .

٨. الأدب وفنونه– الدكتور محمد مندور– دار نهضة مصر–١٩٧٤م .

٩. الأدب وفنونه دراسة ونقد– الدكتور عز الدين إسماعيل– ط٨– دار الفكر العربي ، القاهرة– ١٩٨٣م.

١٠. أصل الأجناس الأدبيّة – تودوروف – ترجمة : محمّد برّادة – مجلة الثقافة الأجنبية . بغداد – ع١– ١٩٨٢م .

١١. انحسار المقالة الأدبيّة : صادق الطريحي:جريدة الصباح العراقيّة– ٢١ /١٢/٢٠١٢.

١٢. تداخل الأنواع الأدبية في المقال النقدي– الاستاذ الدكتور شكري بركات إبراهيم– ضمن تداخل الأنواع الأدبية : مؤتمر النقد ١٢ ، جامعة اليرموك– م :١– ٢٠٠٩م .

١٣. تطور الرواية العربيّة الحديثة ١٨٧٠ --١٩٣٨– الدكتور عبد المحسن طه بدر– ط ٣ – دار المعارف بمصر – ١٩٧٧م .

١٤. تطور الرواية العربيّة الحديثة في بلاد الشام ١٨٧٠– ١٩٦٧– الدكتور إبراهيم السعافين– وزارة الثقافة والإعلام ، العراق .

١٥. التفاعل في الأجناس الأدبية– بسمة عروس– ط١– الانتشار العربي ، لبنان– ٢٠١٠م .

١٦. جذور نظرية الأجناس الأدبية في النقد العربي القديم– الدكتور فاضل عبود التميمي– المجمع العلمي العراقي ، بغداد– ٢٠١٢م .

١٧. جماليات المقالة عند الدكتور علي جواد الطاهر– الدكتور فاضل عبود التميمي – دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد – ٢٠٠٧ م .

١٨. جنّة العبيط – زكي نجيب محمود – ط٢ – دار الشروق ، بيروت– ١٩٨٢م .

١٩. خزانة الأطاريح الجامعيّة المناقشة في المعاهد والكليات العربية : الدكتور عباس كاظم مراد : دار النوارس : بيروت : ط١ : ٢٠٠٠م.

٢٠. دفاع عن المقالة الأدبية - الدكتور فائق مصطفى - كركوك ، العراق-٢٠٠٨م .

٢١. رسالة الصاهل والشاحج - لأبي العلاء المعري- تحقيق : عائشة عبد الرحمن - دار المعارف بمصر- ١٩٧٥م.

٢٢. رواد المقالة الأدبية في الأدب العراقي الحديث - عبد الجبار داود البصري - وزارة الإعلام العراقية ، بغداد-١٩٧٥م .

٢٣. الرواية العربية (ممكنات السرد)- أعمال الندوة الرئيسة لمهرجان القرين الثقافي ١١- ج٢ -٢٠٠٩م .

٢٤. الشعرية العربية : الأنواع والأغراض- رشيد يحياوي- أفريقيا الشرق ، المغرب .

٢٥. صبح الأعشى في صناعة الإنشا - القلقشندي- دار الكتب المصرية ، القاهرة - د.ت .

٢٦. علي جواد الطاهر الناقد المقالي : الدكتور سعيد عدنان- الطيف للطباعة ، بغداد- ٢٠٠٦م.

٢٧. فن المقالة - الدكتور محمد يوسف نجم- دار الثقافة ، بيروت - ط٤- ١٩٦٦م .

٢٨. فن المقالة (أصول نظرية ، تطبيقات ، نماذج)- الدكتور صالح أبو إصبع ، و الدكتور محمد عبيد الله - ط١- دار مجدلاوي للنشر والتوزيع ، عمان- ٢٠٠٠م .

٢٩. الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة العربية الحديثة - الدكتور أنيس المقدسي - دار العلم للملايين ، بيروت- ط٥- ١٩٩٠م.

٣٠. الفهرست - ابن النديم - تحقيق : رضا تجدد- طهران مطبعة دنشكا ، طهران-١٩٧١م.

٣١. في الأدب الحديث- الدكتور عمر الدسوقي- ج١-ط٢- دار الفكر العربي ، القاهرة- ١٩٧٣م.

٣٢. فيض الخاطر- أحمد أمين- مقالة (كتابة المقالات)- ج١- ط٣- مكتبة النهضة المصرية .

٣٣. قراءة في كتاب دفاع عن المقالة- الدكتور فاضل عبود التميمي- جريدة الاتحاد العراقية ، في ٢٠٠٨/٦/٢.

٣٤. كتاب الصناعتين : الكتابة والشعر- أبو هلال العسكري- تحقيق علي محمد البجاوي ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم- ط٢- دار الفكر العربي -١٩٧١م

٣٥. لسان العرب- ابن منظور- دار صادر ، بيروت - دون تاريخ .

٣٦. ماتت المقالة منذ الخمسينيات وبرزت القصة والرواية : الدكتور شجاع العاني : مجلة إضاءة- العدد الثاني- بغداد-٢٠١٢ م .

٣٧. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر- ابن الأثير- تحقيق : الدكتور أحمد الحوفي ، والدكتور بدوي طبانة- دار نهضة مصر ، القاهرة ١٩٦١م .

٣٨. محاضرات عن فن المقالة الأدبية - الدكتور محمد عوض محمد- معهد الدراسات العربيّة العالية ، القاهرة - مطبعة لجنة التأليف والنشر-١٩٥٩م .

٣٩. مختار الصحاح- محمد بن أبي بكر الرازي- دار الكتاب العرب ، بيروت ، لبنان-١٩٨١م .

٤٠. مدارات نقدية في إشكالية النقد والحداثة والإبداع - فاضل ثامر- دار الشؤون الثقافيّة العامة ، بغداد- ١٩٨٧م .

٤١. معجم مصطلحات نقد الرواية- لطيف زيتوني- ط١- مكتبة لبنان- ٢٠٠٢م .

٤٢. المعجم الوسيط - إبراهيم أنيس وآخرون-ج٢- الدار الهندسية ، مصر- ١٩٨٥م .

٤٣. مفاتيح العلوم- الخوارزمي- طبعة الشرق-١٣٤٢هـ.

٤٤. المقالة الأدبية جنس كتابي مهمّش- الدكتور فائق مصطفى - جريدة الصباح العراقيّة - ٢٠١٢/٣/١٨.

٤٥. المقالة في ليبيا نشأتها وتطورها خلال العهد العثماني الثاني (١٨٦٦- ١٩١١)- أحمد عمران بن سليم - دراسة فنية تحليلية نقدية- ط١- منشورات جامعة قار يونس ، بنغازي- ١٩٩٢م.

٤٦. المقالة النقدية الأدبية في مجلة الرافد الإماراتية-لطيفة عبد الله أحمد الحمادي- رسالة ماجستير- قسم اللغة العربية ، كلية الدراسات الإسلامية والعربية ، دبي- ٢٠٠٩ ، ٢٠١٠م.

٤٧. المقالة النقدية في رسالة جامعيّة - فاضل عبود التميمي- جريدة الزمان الدولية - ع :٤٢١٤ ، في٢٠١٢/٥/٣١.

٤٨. مقدمة في النقد الأدبي- الدكتور علي جواد الطاهر- ط٢-المكتبة العالمية ، بغداد-١٩٧٣م .

٤٩. نشأة القصّة وتطوّرها في العراق ١٩٨٠-١٩٣٦- الدكتور عبد الإله أحمد - دار الشؤون الثقافيّة ، بغداد-٢٠٠١م .

٥٠. النظرات : مصطفى لطفي المنفلوطي : دار الجيل بيروت- لبنان د. ت .

٥١. نظرية الأجناس الأدبية - مجموعة مؤلفين - ترجمة : عبد العزيز شبيل : النادي الأدبي ، جدّة - ١٩٩٤م .

٥٢. نظرية الأدب - اوستن وارين ورينيه ولك : ترجمة محيي الدين صبح مراجعة الدكتور حسام الخطيب : مطبعة خالد الطرابيشي ١٩٧٢م .

٥٣. النقد الأدبي – أحمد أمين – مكتبة النهضة المصرية – ١٩٨٣ م .

٥٤. هل المقالة الأدبيّة في انحسار؟- الدكتور فاضل عبود التميمي- جريدة الصباح العراقيّة- ٢٥ /٣/ ٢٠١٢.

٥٥. الهوامل والشوامل- لأبي حيان التوحيدي ، و مسكويه- تحقيق : أحمد أمين والسيد أحمد صقر- مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة-١٩٥١م .

٥٦. وحي الرسالة – أحمد حسن الزيات- ج٣- مطبعة الرسالة : مصر.

٥٧. وراء الأفق الأدبي (مقالات) : الدكتور علي جواد الطاهر- وزارة الإعلام العراقية ، بغداد-١٩٧٧م.

٥٨. يسألونك- عباس محمود العقاد – ط٢- دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان-١٩٦٦م .